مجلـــــة الآداب للعلوم الإنســـانيـــة
المجلد السابع العدد الثاني، ديسمبر 2024،
ص ص307- 325
Arts & Humanities Journal
Vol. 7, Issue no. 2, December, 2024,
pp.307-325

Issn (النسخة المطبوعة): 3006 -7561 Issn (النسخة الالكترونية): 3006 -757X

الفصل بين نحو الجملة ونحو النص

الدكتور أيمن محمود محمد إبراهيم

أستاذ اللغويات المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك خالد

Email: ayman248sh@yahoo.com

تاريخ استلام البحث: 15/ 12/ 2024 تاريخ قبوله للنشر: 22/ 12/ 2024

الفصل بين نحو الجملة ونحو النص

د. أيمن محمود محمد إبراهيم

أستاذ اللغويات المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك خالد– المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

يبين هذا البحث وجه المفارقة في دراسة ظاهرة الفصل بين عناصر التركيب بين كلٍّ من نحو الجملة ونحو النص، وكيفية استثمار هذه الظاهرة في تماسك النص، وقد تم تقسيم البحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: الفصل من منظور نحو الجملة.

المطلب الثاني: الفصل من منظور نحو النص.

الكلمات المفتاحية: نحو الجملة، نحو النص، الفصل، التركيب.

Separation between sentence syntax and text syntax

Dr. Ayman Mahmoud Mohamed Ibrahem
Associate Professor of Linguistics, Department of Arabic language and literature, College of Arts and Humanities Sciences, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research shows the paradox in the study of the phenomenon of separation between the elements of the structure between each of the sentence and the text syntax, and how to invest this phenomenon in the coherence of the text, the research has been divided into two requirements:

The first requirement: separation from the perspective of the sentence syntax.

The second requirement: separation from the perspective of the text syntax.

Keywords: The sentence syntax, The text syntax, The phenomenon, The structure.

تقديم:

يحاول هذا البحث دراسة الفصل بين عناصر التركيب من منظور كل من نحو الجملة ونحو النص، وقد تناولت الفصل دراسات سابقة أفاد منها البحث، ولكنها لم تتناول في دراستها الظاهرة على مستوى نحو النص، واقتصرت على نحو الجملة، أما هذا البحث فإنه يبحث الظاهرة بين نحو الجملة ونحو النص، من هذه الدراسات:

- ظاهرة الفصل في الجملة العربية. دراسة تحليلية بين التراث والدرس اللغوي الحديث. رسالة دكتوراه. إعداد الدكتور مأمون عبد الحليم. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة 1416 هـ- 1996م.
- ظاهرة الفصل في جملة الحديث النبوي الشريف. دراسة تحليلية من خلال صحيح مسلم. رسالة دكتوراه. إعداد الدكتور حسن رمادي غانم. كلية دار العلوم. فرع الفيوم. جامعة القاهرة 1425 هـ- 2004م.

وقد اختلف منظور كل من نحو الجملة ونحو النص تجاه تلك الظاهرة، فكان تناول الفصل في إطار نحو الجملة من خلال الجواز أو عدمه، أما نحو النص فإنه يبحث عن وسائل التماسك في النص، والتي تجعل من النص كلا متكاملا، يرتبط بعضه ببعض؛ ومن ثم فإن السؤال المطروح في هذا السياق: هل يمكن أن يلعب الفصل بين عناصر التركيب هذا الدور؟ بحيث يؤدي وظيفة الربط على المستويين اللفظي والدلالي بين اللاحق والسابق؛ ومن ثم يتحقق التماسك في النص؟ وطبقا لذلك فقد ارتأى البحث أن يُقسم قسمين، وذلك على نحو ما هو وارد فيما يأتي:

أولا: الفصل من منظور نحو الجملة.

ثانيا: الفصل من منظور نحو النص.

أولا: الفصل من منظور نحو الجملة:

لا يلتزم النظام اللغوي العربي أساسا صارما من حيث توالي العناصر المتلازمة في الجملة العربية، إذ يتيح هذا النظام أن يُفصل بين هذه العناصر بعناصر أخرى يلجأ إليها المتكلم لغرض له في نفسه.

والمقصود بالفصل: زيادة عنصر ما بين عنصرين متلازمين، كالفصل بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الشرط وجزائه، وبين القسم وجوابه ...إلخ.

ويبدو لي أن مصطلح الفصل أعم من مصطلح الاعتراض " فكل اعتراض فصل وليس كل فصل اعتراضا، إذ الاعتراض لا يقع إلا بجملة، بينما الفصل يقع بالحرف والكلمة والجملة"[1]، كما أن الفصل يقع بالاعتراض، يُفهم ذلك من كلام أبي علي الفارسي حين قال "فإذا جاز الفصل بين الصلة والموصول بما ذكرنا من الاعتراض، فأن يجوز الفصل بين اسم (إن) وخبرها بالاعتراض الذي هو قوله ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أَحْرى؛ لأن اتصال الصلة بالموصول أشد من اتصال المبتدأ بالخبر"[2]. ويبدو من كلام أبي علي أن الاعتراض لون من ألوان الفصل.

وقد جاء الحديث عن الفصل في إطار نحو الجملة متناثرا مفرقا على أبواب النحو المختلفة، فلم يخصوه بباب معين، وكان تناولهم لهذه الظاهرة من منطلق يجوز أو لا يجوز، وإلى الغرض منه، فقد أشار ابن جني إلى قبح الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وبين الفعل والفاعل، وبين المبتدأ والخبر، وأنه كلما ازداد الجزءان اتصالا قوي قبح الفصل بينهما[3]، كما أشار إلى عدم جواز الفصل بين الجار ومجروره[4]، على حين أجاز الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف بالمصدر، وبين الموصوف وصفته[5]، أما الغرض من الفصل "عند الجمهور: التأكيد، وقال السهيلي: الاختصاص، فإذا قلت: كان زيدٌ القائمَ، كان إخبارا عن زيد بالقيام، واحتمل أن يكون غيره قد شاركه فيه، وإذا قلت: كان زيدٌ هو القائمَ، أفاد اختصاصه بالقيام دون غيره"[6].

أما البلاغيون فقد أفردوا للفصل أبوابا معينة، خصوها به، وتناولوه تحت مسميات مختلفة، منها: الاعتراض، والحشو، والالتفات، والاستدراك[7]، وكان تناولهم له من منظور فني، فقسموه قسمين، الأول: ما يدخل في الكلام لفائدة تليق بالبلاغة، فيكون أوقع في النفوس وأدخل في البلاغة. والثاني: ما يدخل في الكلام لغير فائدة، فيكون دخوله فسادا للمعنى[8]، كما تحدثوا عن أغراضه، فذكروا منها: التقرير، وقصد التنزيه، وقصد التبرك، والتأكيد، والتخصيص، وزيادة الرد علي الخصم، والإدلاء بالحجة[9]، بيد أنه لا يمكن استنباط المعاني التي يؤديها الفصل دون تحليل النص، والإحاطة بظروف وملابسات الكلام.

وعلى أية حال فإن الفصل بعنصر أو أكثر يكون بين عنصرين يتطلب السابق منهما اللاحق كالمبتدأ وخبره، أو بين ما أصله المبتدأ وخبره، أو بين الفعل ومرفوعه، أو بين الفاعل ومفعوله، أو بين الشرط والجواب، أو بين القسم وجوابه....؛ وذلك لتحقيق أغراض دلالية يرومها المتكلم كتأكيد الكلام وتقويته وتحسينه، وهو ما لم يخرج عنه من قبل ابن جني في الخصائص، حيث أشار إلى " أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذًّا أو متأولا"[10].

ثانيا: الفصل من منظور نحو النص:

يدرس نحو النص النصَّ بوصفه الوحدة الكبرى للتحليل، وليس الجملة؛ ومن ثم فهو يبحث في الوسائل التي تجعل من النص كتلة واحدة بحيث يتحقق فيه ما يُسمى بكلية النص، أو أجرومية النص[11]، فهو "نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص أو الخطاب بتمامه"[12]، ويتم ذلك عبر

وسائل لغوية وغير لغوية. والسؤال المطروح: هل يمكن لظاهرة الفصل –وهي ظاهرة لغوية في النصوص– أن تحقق ذلك التماسك المنشود في نحو النص؟

بالرغم من أن نحو الجملة ينظر إلى ظاهرة الفصل من منطلق أن العناصر المفصول بها هي عناصر مقحمة بين عناصر التركيب الأصلي، فإن هذه العناصر يمكن –في إطار نحو النص– أن تحقق تماسكا بين عناصره؛ ومن ثم كلية النص، على أنه ينبغي الإشارة إلى أنه بالرغم من أن ظاهرة الفصل تُدرس في إطار نحو الجملة، فإن نحو النص ليس ببعيد عن نحو الجملة، بل إنه يفيد من "معطيات دراسة الجملة في تكوين هيكله، وإقامة بنائه على اعتبار أن نحو الجملة بمكوناته يُعد علاقات أفقية تتداخل في نسيج النص مع العلاقات الرأسية التي يمثلها نحو النص"[13]، فنحن ننطلق "من علاقة تكاملية بين علمي النص والجملة؛ حيث ينظر إلى بحوث علم لغة الجملة على أنها شرط جوهري للدراسات اللغوية النصية من جهة، بل يمكن أن يستوعبها علم لغة النص الشامل من جهة أخرى"[14]، ويتم ذلك على مستويين:

- مستوى لفظي: حيث تقوم تلك العناصر المفصول بها بإطالة المسافة وتباعدها بين العناصر الأساسية المتلازمة؛ ومن ثم يحدث الربط بين العناصر السابقة عليها والعناصر اللاحقة رغم تباعدها؛ فتتخطى بذلك حدود الجملة الواحدة؛ ومن ثم تتحقق سمة التماسك.
- مستوى دلالي: حيث تقوم العناصر المفصول بها بين عناصر التركيب الأصلي بإضافة بعد دلالي جديد، يسقط بحذفها، فتتضافر هذه الدلالات مع دلالات العناصر المتلازمة المفصول بينها لتكوين صورة كلية للمعنى؛ ومن ثم يحدث التماسك على المستوى الدلالي.

ولبيان ذلك قام البحث بدراسة ظاهرة الفصل في بعض النصوص الشعرية، وذلك بالاعتماد على عينة عشوائية من النصوص، وذلك على النحو الآتي:

الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف:

وذلك في قول الفرزدق[15]:

قطعتُ على عيرانةٍ حِميريَّةٍ كُميْتٍ يئطُّ النِّسعُ من صُعَدائها
ووفراءَ لم تُخرزْ بسيرٍ وكيعةٍ غدوتُ بها طيًّا يدي في رَشائها
ذعرتُ بها سربًا نقيًّا كأنَّه نجوم الثريَّا أسفرتْ من عَمائها
فعاديتُ منها بين تيسٍ ونعجةٍ وروَّيتُ صدرَ الرُّمح قبل عَنائها

يشير نحو الجملة إلى أن هناك تلازما وترابطا بين المعطوف عليه والمعطوف، وبالرغم من هذا التلازم، فإن هناك من النحاة من أشار إلى جواز وقوع الفصل بينهما، فقد ذهب الفراء في قوله تعالى ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[16]، إلى أن التقدير "ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما"[17]، وفي قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ... وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[18]، أشار الزمخشري إلى أن قوله تعالى (وأقيموا الصلاة) "معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال"[19]، فنحو الجملة ينظر إلى وقوع الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف من خلال الجواز أو عدمه، وعلى أية حال فعلماء نحو الجملة يجيزون وقوع الفصل بينهما، وتختلف المعالجة في إطار نحو النص، فقد فصل الفرزدق في الأبيات السابقة بين المعطوف عليه (ذعرتُ)، والمعطوف (فعاديتُ)، بالجملة المنسوخة وجملة الحال (كأنَّه نجوم الثريَّا أسفرتْ من عمائها)، وقد أتاح هذا الفصل –على المستوى اللفظي– أن تطول المسافة بين المعطوف عليه والمعطوف؛ لتتجاوز العلاقة بينهما حدود البيت الواحد إلى البيت التالي؛ ليتحقق السبك بين البيتين من خلال وجود المعطوف عليه في بيت، والمعطوف في البيت التالي، أما على المستوى الدلالي، فكان لهذا الفصل دور بارز في بناء المعنى؛ فالشاعر في مقدمة قصيدته يصف رحلته وناقته الصلبة التي يمتطيها في تلك الأرض المقفرة، شادا حبل النِّسع على صدرها، وفي هذه الأثناء يُلم

بسرب من الظباء النقية الألوان، ولا يكتفي بهذا الوصف فحسب، بل يبالغ في هذا الوصف، فهذه الظباء في نقائها ولمعانها كأنها نجوم الثريا أسفرت من بين السحاب الذي يكتنفها، فأخذ يعاديها ويجاريها حتى ظفر منها بتيس ونعجة دون أن تكل ناقته، ويبدو أن الفصل الذي حمل ذلك الوصف هو ما دعا الشاعر إلى مجاراة هذا السرب والظفر منه، أما لو اكتفى الشاعر بوصف تلك الظباء بأنها نقية فقط، فربما لا يكون ذلك سببا في اللحاق بها؛ ومن ثم أسهم الفصل في هذه المقطوعة في بناء دلالتها التي تنعدم بانعدام هذا الفصل.

الفصل في أسلوب الشرط:

ورد الفصل في أسلوب الشرط بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط في قول عنترة[20]:

هلَّا سألتِ الخيلَ يا بْنة مالكٍ إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلمِي
إذْ لا أزالُ على رحَّالة سابحٍ نهدٍ تعاورُه الكماةُ مُكلمِ
طَوَرًا يعرضُ للطعانِ وتارةً يأوِي إلى حصدِ القسيّ عَرمرمِ
يُخبرْك من شَهدَ الوقائعَ أنَّنِي أَغشَى الوغَى وأعفُّ عند المغنمِ

يشير نحو الجملة إلى أن أسلوب الشرط مكون من جملتين، هما جملة الشرط وجملة جواب الشرط دخلت عليهما الأداة فجعلتهما كالجملة الواحدة في افتقار كل منهما إلى الأخرى، إذا تحققت إحداهما تحققت الأخرى وإلا فلا، وقد أشار ابن يعيش إلى أن العلاقة بين الشرط والجواب كالعلاقة بين المبتدأ والخبر " فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء"[21]، كما أشار أيضا إلى أن افتقار " كل واحدة من الجملتين إلى الأخرى كافتقار المبتدأ إلى الخبر، فالجملة الأولى التي هي شرط بمنزلة المبتدأ، والجملة الثانية التي هي جزاء كالخبر"[22]، ويفهم من ذلك أن هناك صلة وثيقة وتلازما بين الشرط والجواب، كما أن هناك صلة وثيقة وتلازما بين المبتدأ والخبر، فالجواب مترتب على الشرط؛ لذا فإن الأصل أن يعقب الجوابُ الشرطَ دون فاصل بينهما؛

حتى يتحقق معنى السببية والترتب. إلا أن الرضي أشار إلى جواز الفصل بـ"القسم والدعاء والنداء والاسمية الاعتراضية بين الشرط والجزاء نحو: إن تأتني والله آتك، وإن تأتني غفر الله لك آتك، وإن تأتني يا زيد آتك، وإن تأتني ولا فخذ آتك"[23]. إذن لم يخرج نحو الجملة عن منطقة الجواز في وجود الفصل في أسلوب الشرط، لكن معالجة نحو النص تخرج عن هذه المنطقة إلى منطقة أكثر رحابة وإبداعا، فقد فصل الشاعر بين جملة الشرط (إن كنت جاهلة بما لم تعلمي)، وجملة الجواب (يخبرك من شهد الوقائع...) بعدد من الجمل الفعلية بلغ عددها أربع جمل، ومن منظور نحو الجملة فإن هذه الجمل جيء بها فاصلا بين جملتي الشرط والجواب، أما من منظور نحو النص، فعلى المستوى اللفظي جاء مدى الربط بين جملتي الشرط والجواب طويلا استغرق أربعة أبيات؛ حيث وردت جملة الشرط في الشطر الثاني من البيت الأول، على حين وردت جملة الجواب في الشطر الأول من البيت الرابع؛ مما جعل هذه الجمل التي فُصِل بها تسهم في تماسك الأبيات من الأول إلى الرابع على المستوى اللفظي للأبيات، وعلى المستوى الدلالي فإن هذه الجمل المفصول بها ليست جملا زائدة أو مقحمة بين عناصر التركيب يمكن الاستغناء عنها، لكنها أسهمت في الترابط الدلالي وامتداده على المستوى الدلالي للأبيات، فلو حذفت هذه الجمل لافتقد النص بحذفها جزءا كبيرا من الجانب الدلالي، فقد جاءت هذه الجمل في البيتين الثاني والثالث تفصيلا للإجمال الذي ورد في البيت الرابع الذي يحمل دلالة مجملة، فهو يقتحم الحروب اقتحاما، ولا يستأثر بشيء من الغنيمة دون أصحابه، أما الجمل التي أحدثت الفصل في البيتين الثاني والثالث فقد وصفت حاله في ساحة المعركة، وفصَّلت القول فيه، فهو على ظهر فرس سابح ضخم يتداوله الشجعان مرة تلو مرة، مجروح من كثرة الطعان، وهو مرة يطاعن على هذا الفرس، وتارة يأوي إلى جيش كثيف ملتف ذي قسي كثيرة، وهو كناية عن العزة والمنعة، وتفصيل الدلالة في البيتين الثاني والثالث ثم إجمالها في البيت الرابع أدى إلى امتداد الدلالة على مستوى الأبيات وتماسكها على المستويين اللفظي والدلالي.

الفصل في أسلوب القسم:

من الفصل في أسلوب القسم قول النابغة[24]:

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك ريبةً وهل يأثمنْ ذو إمَّةٍ وهو طائعُ
بمُصطحباتٍ من لَصافٍ وثَبرةٍ يَزرنَ إلَالًا سيرهنَّ التَّدافعُ
سَمامًا تُباري الريحَ خُوصًا عُيونُها لهنَّ رَذايا بالطريقِ ودائعُ
عليهنَّ شُعثٌ عامدونَ لحجِّهم فهنَّ كأطرافِ الحنيِّ خواضعُ
لَكلَّفتنِي ذنبَ امرئٍ وتركتَه كذِي العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو راتعُ

عالج نحو الجملة الفصل بين جملة القسم وجملة جواب القسم من منطلق يجوز أو لا يجوز، فكما أجاز نحو الجملة الفصل في أسلوب الشرط بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط، أجاز كذلك الفصل في أسلوب القسم بين جملة القسم وجملة جواب القسم[25]، وهذا ما يبتغيه نحو الجملة، أما نحو النص فإنه يبحث في تحقيق التماسك في النص على المستويين اللفظي والدلالي، فالنابغة في سياق اعتذاره للنعمان، ونفي التهمة عنه، جاء بعدد من الجمل المفصول بها في الأبيات الخمسة السابقة، فقد فصل بين جملة القسم (حلفت) في البيت الأول، والمقسم به (بمصطحبات) في البيت الثاني بجملتين تمثلتا في الجملة الفعلية (فلم أترك لنفسك ريبة)، وأسلوب الاستفهام (وهل يأثمن ذو إمة وهو طائع)؛ مما أسهم في تماسك البيتين لفظيا؛ لاحتواء البيت الأول على جملة القسم، والبيت الثاني على المقسم به، كما أسهم هذان الفصلان في بناء الدلالة وامتدادها على مستوى البيتين بما يحملانه من معنى، فقد أضفيا على القسم تقوية وتأكيدا له؛ فهو بهذا القسم لم يترك للنعمان شكًّا في صدقه، وكيف يحنث في قسمه وهو رجل ذو دين واستقامة، مستخدما في ذلك أسلوبا إنشائيا؛ حتى لا يترك للنعمان فرصة في تكذيب ما يقول، فلا يجد أمامه إلا أن يسلم بما يذكره النابغة؛ ومن ثم فقد ربط هذان الفصلان ربطا دلاليا بين السابق عليهما (جملة القسم)، واللاحق (المقسم به)، ولو أسقط الفصلان من الكلام لافتقد تلك المعاني التي أضفيت عليه.

فصل الشاعر كذلك بين جملة القسم (حلفت)، وجملة جواب القسم بعدد كبير من الجمل استغرقت مسافة أربعة أبيات، ثم جاء بجملة جواب القسم (لكلفتني) في البيت الخامس، حيث تباعدت المسافة بينهما؛ مما أدى إلى تماسك الأبيات من الأول إلى الخامس على المستوى اللفظي، أما على المستوى الدلالي، فقد حملت تلك الجمل من الدلالات ما لا يمكن الاستغناء عنه في الكلام، فالشاعر في سياق قسمه للنعمان بأنه لم يرتكب في حقه جرما، يقسم بالإبل –وهو أمر فيه من الغرابة ما فيه– وقد حملت الجمل المفصول بها المسوغ للقسم بها؛ فأقسم بها لأنها تُصطحب في السير إلى الحج؛ فعظمها لذلك، شديدة السرعة في السير وفي المعركة كأنها تعارض الريح لسرعتها، وذلك في حال جهدها وعنائها، حتى صارت كالقسي المعوجة من شدة السير والجهد، فكيف بها قبل ذلك، وبعد وصف الإبل وإضفاء سمة القداسة عليها، جاء بجملة القسم (لكلفتني) وما تعلق بها؛ فقد تحمَّل ذنب غيره، فصار كالبعير الذي أصابه الداء، وكان من عادة العرب إذا أصاب الإبل داء، وأرادوا معالجته، كووا بعيرا آخر صحيحا؛ فيبرأ ذلك البعير، والخلاصة أنه أُخذ بذنب غيره، إن امتداد الدلالة التي استغرقت الأبيات الخمسة بهذا الشكل أسهم في ربط الأبيات على المستوى الدلالي، كما أشعر القارئ بعظم المقسم به، وقد جاء به في موطن دفع التهمة عن نفسه، وهو من الأهمية بمكان.

الفصل بين فعل القول وجملة القول:

من الفصل بين فعل القول وجملة القول قول امرئ القيس[26]:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ مُرْخٍ سُدُولَهُ عَلَيَّ بِـأَنْـوَاعِ الـهُـمُـومِ لِيَبْـتَـلِي
فَـقُـلْـتُ لَـهُ لَـمَّـا تَـمَـطَّى بِجَـوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْـجَـازًا وَنَـاءَ بِـكَـلْـكَـلِ
أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ
فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيذْبُلِ

يشير نحو الجملة إلى أن جملة القول تقع مفعولا به[27]، والأصل أن تبدأ الجملة الفعلية بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول به، والنحاة على أنه قد يُفصل بين الفعل والمفعول به

مستشهدين بقول الشاعر[28]:

وبُدِّلتَ والدَّهرُ ذو تبدُّل هَيفا دبورًا بالصَّبا والشَّمألِ

حيث جاء الفصل بين الفعل والمفعول به بجملة (والدَّهرُ ذو تبدُّل)، وفي نحو النص يمكن تحليل هذا الفصل بشكل مختلف، فقد فصل امرؤ القيس في الأبيات بين فعل القول (فقلت) في البيت الثاني، وجملة القول في البيتين الثالث والرابع، وجاء هذا الفصل بأسلوب شرط، وجملتين معطوفتين عليه (لَمَّا تَمَطَّى بِجوْزِهِ)، (وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً)، (وَنَاَء بِكَلْكَلِ)، وذلك في أثناء رسمه لوحة لليله الطويل، حيث الوحدة والسكون بعد فراق المحبوبة ومعاناة ألم الفراق، وقد تجاوزت المسافة بين فعل القول وجملة القول حدود البيت، حيث استغرقت مسافة ثلاثة أبيات؛ ومن ثم كان مدى الربط طويلا بين الأبيات؛ مما أدى إلى تماسكها على المستوى السطحي، وعلى مستوى الدلالة فقد أدى هذا الفصل إلى تماسك الأبيات دلاليا؛ ففي سياق حديثه عن ظلمة ليله الطويل وهوله ووحشته حتى كأنه أمواج البحر، مرخيا أستار ظلامه عليه بأنواع شتى من الهموم لاختبار صبره، وفي هذه الأثناء جاء الفصل (لَمَّا تَمَطَّى بِجوْزِهِ، وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً، وَنَاَء بِكَلْكَلِ)، وقد أدى هذا الفصل إلى امتداد الدلالة واستمرارها، وبناء المعنى وتكامله، فبعد حديثه السابق عن وصف ليله، أخذ يكمل ذلك الوصف، فهو ليل مفرط في طوله، ممتد آخره، ينهض بجهد ومشقة، فإذا ما لبث يرجو انقشاعه، فإنه يفجؤه بتمدده وإرداف أعجازه، حتى حدثه راجيا رحيله، وهذه الصورة التي رسمها الشاعر كناية عن مقاساة الأحزان والشدائد والسهر المتولد منهما؛ فالمغموم طويل ليله، ولولا الفصل الذي جاء به الشاعر ما كان لهذه الصورة أن تكتمل، ولم يكن لدلالة الأبيات أن تستمر.

ومن الفصل كذلك بين فعل القول وجملة القول قول حاتم الطائي[29]:

لمَّا رأيتُ النَّاس هرَّتْ كلابهمْ ضربتُ بسيفِي ساقَ أَفعَى فخرَّتِ

فقلتُ لأصباهٍ صغارٍ ونسوةٍ بشهباءَ من ليلِ اليمانينَ قرَّتِ

عليكمْ من الشَّطَّينِ كلَّ وريَّةٍ إذا النارُ مستْ جانبيْها ارْمعلَّتِ

في سياق حديث الشاعر عن أضيافه الذين حلُّوا عليه، وإكرامه لهم، فصل بين فعل القول (فقلت) في البيت الثاني، وجملة القول في البيت الثالث (عليكمْ من الشَّطَّينِ كلَّ وريَّةٍ)، وذلك بشبهي جملة، وجملة فعلية (بشهباءَ من ليلِ اليمانينَ قرَّتِ)؛ مما أسهم في تباعد المسافة بين فعل القول وجملة القول؛ حيث استغرقت المسافة بينهما بيتين كاملين؛ مما أدى إلى تماسكهما على المستوى اللفظي، وعلى المستوى الدلالي فقد أضفى الفصل معنى جديدا يضاف إلى دلالة الأبيات، فحديثه إلى الصبية والنسوة بطبخ ناقته الوحيدة التي يسافر عليها –إكراما لضيوفه– كان في ليلة جدباء شديدة الجدب والظلمة لا خضرة فيها ولا ماء، وهو ما تكون معه الحاجة ماسة إلى الاحتفاظ بناقته، ولكنه آثر إكرام ضيوفه؛ ولذلك فإن الفصل هنا ليس زائدا على بنية التركيب يمكن إسقاطه ويتم المعنى كما هو، فلو أسقط الفصل من الكلام لجاء عاديا دون إدراك قيمة الإيثار التي أبرزها هذا الفصل؛ ومن ثم فقد عمل الفصل على بناء الدلالة في المقطوعة الشعرية، وتماسكها لفظيا ودلاليا.

الفصل بين الاستفهام والمُستفهم عنه:

من الفصل بين الاستفهام والمُستفهم عنه، قول ابن زيدون[30]:

مَنْ مبلغُ الملبسِينا بانتزاحِهمُ حُزْناً معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلينَا

أنَّ الزمانَ الذي ما زال يُضحكنا أُنسًا بقربهمْ قد عاد يُبكينَا

الأصل في إطار نحو الجملة أن يلي المُستفهمُ عنه الاستفهامَ مباشرة بلا فاصل، إلا أن مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة على الشبكة العالمية قد أصدر فتوى يجيز من خلالها الفصل بين الاستفهام والمُستفهم عنه ببعض صلة المستفهم عنه، أو فضلة معترضة، أو خبر مقدم على مبتدئه، ونحو ذلك[31]، استشهادا بقول الله تعالى ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[32]، وقوله تعالى ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[33]، ويختلف الأمر في نحو النص فقد جاء الشاعر في البيت الأول بأكثر من فصل؛ حيث جاءت أداة الاستفهام (من)، والمستفهم منه ومتعلقه (مبلغُ الملبسِينا بانتزاحِهمُ حُزْناً)، ثم

الفصل المتمثل في الظرف والمضاف إليه وجملتين فعليتين (مَعَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلِينَا)، ثم بعد ذلك جاء بمضمون السؤال كاملا في البيت الثاني، وقد أسهم هذا الفصل في تماسك البيتين على المستويين اللفظي والدلالي، فعلى المستوى اللفظي أتاح هذا الفصل امتداد العلاقة بين عناصر الاستفهام؛ حيث تجاوزت هذه العلاقة حدود البيت الواحد، لتشمل البيتين معا، من خلال تباعد العناصر المكونة للاستفهام؛ مما أدى إلى تماسكهما على المستوى اللفظي، أما على المستوى الدلالي، فقد أسهم هذا الفصل في تماسك البيتين دلاليا، ففي سياق معاناة الشاعر لفقده ولادة، وبعده عن وطنه، ذهب يطلب من أي أحد أن يبلغ الوشاة الذين أفقدوه حبه ووطنه– وألبسوه ثوب الحزن الدائم الملازم له طول حياته؛ لدرجة أنه يفنى ولا يفنى هذا الحزن– أن زمنه قد تبدل من زمن القرب والأنس بالمحبوبة، إلى زمن الهجر والبكاء. لقد أضفى الفصل على دلالة الحزن التي انتابت الشاعر استمرارية هذه الحالة، ومصاحبتها له طول حياته؛ مما يشعر بقيمة الفقد وعظم المصيبة؛ ومن ثم تكامل الصورة الدلالية وتماسكها.

الخاتمة

كانت نظرة نحو الجملة إلى ظاهرة الفصل على أن العناصر المفصول بها بين عناصر التركيب المتلازمة هي عناصر مقحمة بين عناصر التركيب الأصلي، أي أنها ليست ذات وظيفة تركيبية. أما في نحو النص فقد ظهر من خلال تطبيق الظاهرة على بعض النصوص الشعرية أن ظاهرة الفصل تعمل على تماسك النص سواء على المستوى اللفظي أو الدلالي، فعلى المستوى اللفظي تعمل تلك العناصر المفصول بها بين العناصر المتلازمة على إطالة المسافة بين تلك العناصر؛ مما يؤدي إلى تماسك عناصر النص المتباعدة، وذلك حين تتجاوز العلاقة التركيبية حدود البيت إلى الأبيات اللاحقة. أما على المستوى الدلالي فإن تلك العناصر المفصول بها تؤدي إلى إضافة بعد دلالي جديد يضاف إلى دلالة العناصر المتلازمة المفصول بينها؛ مما يؤدي إلى الترابط الدلالي بين العناصر جميعها.

المصادر والمراجع

- أبو غزالة، إلهام، وحمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1999م.
- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.
- امرؤ القيس، الديوان برواية الأصمعي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.
- الأندلسي، أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى 1404هـ- 1984م.
- ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1406 هـ- 1986م.
- الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة 2003 م.
- الرضي، محمد بن الحسن، الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبوعات دار الفكر، الطبعة الأولى 1397هـ- 1977م.
- ابن زيدون، الديوان، شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى 1351هـ- 1932م.
- شحاته، محمد عبد الوهاب، الاعتراض في شعر شوقي، دراسة نحوية ودلالية، مجلة علوم اللغة، دار غريب، المجلد الأول، العدد الثالث 1998م.
- الطائي، حاتم بن عبد الله، الديوان، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1411هـ- 1990م.

- عبد اللطيف، محمد حماسة، ظواهر نحوية في الشعر الحر. دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور، دار غريب بمصر، 2001م.
- العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1409 هـ- 1989 م.
- عنترة، الديوان، بشرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، طبعة دار الكتاب العربي.
- الفارسي، أبو علي، المسائل الحلبيات، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1407 هـ- 1987م.
- الفراء، معاني القرآن، الجزء الثاني، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.
- الفرزدق، الديوان، بشرح إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1983م.
- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بالقاهرة، 1955م.
- مصلوح، سعد:

1- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون، مطبوعات جامعة الكويت، 1990م.

2- نحو أجرومية للنص الشعري. دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مصر، المجلد العاشر، العدد الأول والثاني، يوليو- أغسطس 1991م.

- ابن المعتز، عبد الله بن محمد، البديع، نشر وتعليق إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ- 1982م.
- النابغة الذبياني، الديوان، برواية الأصمعي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ- 1991م.
- ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، المطبعة المنيرية بمصر.

الهوامش:

1- شحاته، محمد عبد الوهاب، الاعتراض في شعر شوقي، دراسة نحوية ودلالية، مجلة علوم اللغة، دار غريب، المجلد الأول، العدد الثالث 1998م: 280.

2- الفارسي، أبو علي، المسائل الحلبيات، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987م: 145.

3- ينظر: ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1406 هـ - 1986م: 2/ 392.

4- ينظر السابق: 2/ 397.

5- ينظر: السابق: 2/ 398.

6- الأندلسي، أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م: 1/ 495.

7- ينظر: ابن المعتز، عبد الله بن محمد، البديع، نشر وتعليق إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ - 1982م: 59، العسكري، أبو هلال، الصناعتين: 441، ابن رشيق، العمدة: 45/2، الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة: 212، ابن الأثير، ضياء الدين المثل السائر: 40/3، الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 56/3.

8- ينظر: الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة 2003 م: 213، المثل السائر: 41/3، العلوي، الطراز: 284 - 286.

9- ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة: 57/3 - 63.

10- ابن جني، الخصائص: 1/ 336.

11- ينظر: مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري. دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مصر، مجلد 10، عدد 1، 2، يوليو- أغسطس 1991م: 158.

12- مصلوح، سعد، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون، مطبوعات جامعة الكويت، 1990م: 407.

13- عبد اللطيف، محمد حماسة، ظواهر نحوية في الشعر الحر. دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور، دار غريب بمصر، 2001م: 144.

14- أبو غزالة، إلهام، وحمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1999م: 218، 219.

15- الفرزدق، الديوان، بشرح إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1983م:1/ 18.

16- سورة طه، الآية: 129.

17- الفراء، معاني القرآن للفراء، الجزء الثاني، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ: 2 / 195.

18- سورة النور، الآيات من 54 – 56.

19- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبوعات دار الفكر، الطبعة الأولى 1397هـ- 1977م: 3 / 74.

20- عنترة، الديوان، بشرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، طبعة دار الكتاب العربي: 171، 172.

21- ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، المطبعة المنيرية بمصر: 1 / 89.

22- ابن يعيش، شرح المفصل: 3 / 151.

23- الرضي، محمد بن الحسن، الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ: 2/ 256.

24- النابغة الذبياني، الديوان، برواية الأصمعي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية: 35- 37.

25- ينظر: الفارسي، أبو علي، المسائل الحلبيات: 147.

26- امرؤ القيس، الديوان برواية الأصمعي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة: 18.

27- ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م: 2/ 58.

28- ينظر: الفارسي، أبو علي، المسائل الحلبيات: 148، وابن جني الخصائص: 1/ 337.

29- الطائي، حاتم بن عبد الله، الديوان، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1411هـ- 1990م: 163.

30- ابن زيدون، الديوان، شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى 1351هـ- 1932م: 4.

31- ينظر: مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة على الشبكة العالمية، فتوى رقم 2855، رابط:
https://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=57250

32- سورة غافر، الآية: 11.

33- سورة العنكبوت، الآية: 67.